ضَرورةُ الحِوارِ

جُوزِيبِّي بِيتُورِي(*)

تحيَّةً سريعةً مُختصَرةً لجميعِ الحضورِ، ثمَّ أُعبِّرُ عن سَعادتي خاصَّةً بالعُنوانِ الَّذي يَحمِلُهُ هذا اللِّقاءُ، وهو «الحوارُ بينَ الأديانِ» وأَشكُرُ مؤسَّسةَ «سانت إيجيديو» ومجلس حُكَمَاء المسلمين على إتاحتهما لنا هذه الفُرصةَ للِّقاء في الغربِ.

وعندَما أُقدِّمُ مُشاركتي هذه ضمنَ المشارَكاتِ كلِّها أَوَدُّ أن أُؤَكِّدَ على أنَّه أحيانًا -وللأسفِ- ما تُشيرُ المُناظَراتُ العامَّةُ إلى اتِّهامٍ مُوجَّهٍ للأديانِ، مُؤدَّاهُ أنَّ الأديانَ نَفسَها هي الَّتي تُشكِّلُ العَقَباتِ في طريقِ الحوارِ، إلَّا أنَّني أُؤكِّدُ على حقيقةِ أنَّ الأديانَ السَّماويَّةَ -أيِ الَّتي مَصدَرُها الوحيُ السَّماويُّ مِثلُ تلك الَّتي هي مُجتمِعةٌ الآنَ هذا المساءَ- هذه الأديانُ في طبيعتِها قائمةٌ في الأساسِ على الحِوارِ؛ فلم يَكُن بالإمكانِ أن يكونَ هناك دِينٌ أو إيمانٌ بدونِ حوارٍ بينَ الإلهِ والبَشَرِ.

هذا الحوارُ أرادَ اللهُ له أن يَنشأَ بينَ البشرِ، وليسَ لِرَجُلِ دِينٍ يُقِرُّ بأنَّه بالفعلِ رَجُلُ دِينٍ أن يَتخلَّى عن الحوارِ؛ فرجالُ الدِّينِ مُستعدُّونَ دائمًا للحوارِ، فالهُوِيَّةُ الحِواريَّةُ كامِنةٌ داخلَ الأديانِ بطبيعتِها، وقد جيءَ بالإيمانِ عَبرَ الحِوارِ بينَ الإلهِ والبشرِ.

ولكنَّ هذا الأمرَ ليسَ معناه أنَّ ثمَّةَ حوارًا يُمكِنُ أن يَصِلَ إلى نتيجةٍ جديدةٍ مُؤدَّاها أنَّه لا يوجدُ هناكَ دينٌ أو كائناتٌ دينيَّةٌ.

هذه الحقيقةُ القاطعةُ بأنَّ الحوارَ موجودٌ داخلَ الأديانِ بطبيعتِها، أُؤكِّدُ عليها، وذلك في مُواجهةِ بعضِ وِجهاتِ النَّظرِ الَّتي تُروَّجُ في العالَمِ العَلمانيِّ، والَّتي يَبدو لي أنَّها تَرى أنَّ الأديانَ بطبيعتِها لا يُمكِنُ أن تقومَ على الحِوارِ، أو أنَّها لا تَتحمَّلُ مسألةَ الحوارِ وقَضاياهُ.

وأُؤكِّدُ أنَّنا -كي نكونَ رجالَ دِينٍ حقيقيِّينَ- يجبُ ألَّا نُنحِّيَ البُعدَ الحِواريَّ جانبًا؛ فالمساهمةُ الَّتي قدَّمَتها الأديانُ للمُجتمَعاتِ الإنسانيَّةِ قائمةٌ ومُتجسِّدةٌ داخلَ التَّاريخِ، ولا يُوجَدُ دينٌ بإمكانِنا أن نَدعُوَهُ دِينًا دونَ أن يكونَ حيًّا داخلَ المُجتمَعِ؛ وعليه فلا بدَّ مِن حضورِ الدِّينِ وطَرحِهِ للحِوارِ داخلَ المُجتمعاتِ الإنسانيَّةِ في العالَمِ، أمَّا إنكارُ مُساهَمةِ الأديانِ في صُنعِ التَّاريخِ فَيُعَدُّ إنكارًا للتَّاريخِ الإنسانيِّ نفسِهِ؛ فَلَم يَكُن يَتَسنَّى للحضارةِ الإنسانيَّةِ كلِّها بأشكالِها

المُتنوِّعةِ والمُختلِفةِ أن تُوجَدَ دونَ ما حَمَلَهُ لنا الدِّينُ، فطبيعةُ الدِّينِ هي البقاءُ والتَّجسُّدُ داخلَ التَّاريخِ.

والحضاراتُ بدَورِها ليسَت شيئًا مِن شأنِهِ أن يُعزَى إلى قومٍ دونَ أقوامٍ آخَرِينَ؛ فهي بطبيعتِها مشروعٌ مُشترَكٌ بينَ جميعِ الإنسانيَّةِ، فلا أحدَ يستطيعُ أن يَستبعِدَ أحدًا، أو أن يَعتبِرَهُ عدوًّا يجبُ إقصاؤُه أو استبعادُه مِن أداءِ هذا الواجبِ الحضاريِّ المُشترَكِ، أو استبعادُه مِن هُوِيَّةِ الحضارةِ الإنسانيَّةِ المُشترَكةِ بينَ جميعِ البشرِ.

شكرًا، وأتمنَّى عملًا مُوفَّقًا للجميعِ.